الفصل الثالث

المرسل... الإله
المستقبل... الإنسان
الرسالة.. المنظومة الثلاثية

- **عناصر المنظومة المعلوماتية**
  1) المرسل... الإله
  2) المستقبل... الإنسان
  3) الرسالة... المنظومة الثلاثية
- **الفطرة: الرسالة المعلوماتية الداخلية**
- **الوجود رسالة توحيد**
  - الكون... رسالة تحمل معلومات كونية
  1- الإله غير مادي، وليس كمثله شيء
  2- الإله سرمدي
  3- الإله مطلق/ كلي/ لا نهائي العلم
  4- الإله مطلق/ كلي/ لا نهائي الذكاء
  5- الإله مطلق/ كلي/ لا نهائي القدرة
  - الإنسان كائن برزخ
- **القرآن الكريم: خاتم الرسالات السماوية**
  - الإله المرسل... الإنسان المستقبل
  - المعلوماتية دليل على ألوهية مصدر القرآن الكريم
  - القرآن الكريم حامل للمعلومات الكونية
  - كثافة المعلومات القرآنية
  - الإنسان المرسل.. الإله المستقبل
- **القارئ الكريم**

بعد الجولة السابقة مع مفهوم المعلوماتية عبر فصول الكتاب، نصل إلى **المحطة الأخيرة**، إنها وقفة مع **العلاقة بين الإله الخالق والإنسان المخلوق**، وما يكتنف هذه العلاقة من **نظرة معلوماتية**.

لقد شاء الإله أن يتواصل مع مخلوقه الإنسان، ليُعَرِّفه بنفسه، من خلال **منظومة تواصل معلوماتية ثلاثية**. لقد كانت **الفطرة** أول عناصر هذه المنظومة، فالإله قد غرس في الإنسان الشعور بوجوده وبوحدانيته، كما غرس فيه الشوق للبحث عنه والتعرف عليه والقرب منه. وبعد الفطرة جاء «**كتاب الله المنظور**»، ذو الآيات المبثوثة في الآفاق والأنفس، والذي يطلعنا العلم يومًا بعد يوم على المزيد من آياته. وأخيرًا يأتي «**كتاب الله المسطور**» المتمثل في الكتب السماوية وآخرها القرآن الكريم الذي تكفل الله عَزَّوَجَلَّ بحفظه ليبقى رسالة التواصل الخاتمة الخالدة بين الإله والبشر.

لذلك اخترنا أن نختم الكتاب بهذا الفصل، الذي نستهله بالتعريف بالمرسل والرسالة والمستقبل في ضوء العلم. ثم نتأمل باختصار منظومة التواصل الثلاثية بين الإله والإنسان، والتي يأتي في ختامها القرآن الكريم مخاطبًا العقل الذي هو بمثابة التاج الذي منحه ربي عَزَّوَجَلَّ للإنسان ليسود به المخلوقات.

عناصر المنظومة المعلوماتية

1) المرسل... الإله

من الرحلات العقلية الماتعة في تاريخ الفكر الإنساني رحلة **أستاذ الفلسفة البريطاني الكبير بجامعة أكسفورد، سير أنتوني فلو**[1]، الذي تبنى الإلحاد في سن السادسة عشرة وظل متزعمًا للفكر الإلحادي في الغرب طوال النصف الثاني من القرن العشرين.

(1) Sir Antony Flew: (1923 - 2010).

وفي التاسع من ديسمبر عام 2004، فوجئ العالم بخبر ما زال صداه يتردد في الأوساط الفلسفية والعلمية والثقافية والدينية؛ لقد أعلن أنتوني فلو (بعد أن تجاوز من العمر الثمانين عامًا) أنه قد صار يؤمن بأن «**هناك إلهًا**». وقد أذاعت وكالة أنباء الأسوشيتد برس الخبر بعنوان:

«ملحد شهير يؤمن بالإله، بدافع من الشواهد العلمية».

Leading atheist now believes in God, more or less,

based on scientific evidence.

أصاب الخبر الملاحدة من زملاء أنتوني فلو وتلاميذه بهستيريا عارمة، حتى امتلأ إعلام العالم الغربي الحر بسخريتهم وازدرائهم لهذا التحول!

وقد طُلب من أنتوني فلو مرارًا أن يُصدِر كتابًا يعرض فيه رحلته، من صبي مؤمن إلى رجل ملحد إلى شيخ في الثمانين يؤمن بوجود الإله. وأخيرًا صدر عام 2007 الكتاب المنتَظَر:

«هناك إله: كيف عَدَلَ أشرسُ مُلحدٍ عن الإلحاد».

There is a god; How the World's most

notorious atheist changed his mind

ولعل ما يعنينا هنا من كتاب «هناك إله»، أن أنتوني فلو يعلن فيه أنه قد توصل من خلال الأدلة العلمية والفلسفية إلى **الحد الأدنى من الصفات التي ينبغي أن تتوافر في خالق الكون (المرسل)**، وكانت هذه الصفات أن خالق الكون ينبغي أن يكون

God has the following attributes: immutability, immateriality, omnipotence, omniscience, oneness or indivisibility, perfect goodness and necessary existence.

إله واحد أحد

واجب الوجود

غير مادي - لا يطرأ عليه التغير

مطلق القدرة - مطلق العلم

كامل الخير.

هذه هي صفات **الإله المرسل** لمنظومة التواصل الثلاثية كما أدركها العقل الفلسفي في

أصفى تجلياته. ولا أحسب هذه الصفات تختلف قيد أنملة عما وصف به ربي عَزَّوَجَلَّ نفسه في كتبه السماوية. فعندما قرأت هذه الصفات لأول مرة كما أدركها سير أنتوني فلو خِلْتُ كأني أقرأ شرحًا لسورة الإخلاص حيث يقول ربي عَزَّوَجَلَّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص].

سبحانك ربي، ما أصدق عطاءات العقل والعلم، إذا صدقت النية في البحث عن الحق.

2) المستقبل... الإنسان

الإنسان هو **الموجود السيد في هذا الكون...**

يتفق في ذلك النقيضان:

الفكر المادي الملحد، إذ يعتبر كبير الفكر الإلحادي المعاصر، فريدريك نيتشه، أن الإنسان هو الكائن السوبر. وفي الوقت نفسه، يعتبر **الفكر الديني** أن الإنسان هو خليفة من الله في الأرض خلقه على صورته.

وكان طبيعيًّا أن تثور في عقل الموجود السيد الأسئلة؛ حول مبدأه ومساره ومنتهاه، وحول الغرض من خلقه، وحول خالقه. لذلك كان طبيعيًّا ألا يترك الإله مخلوقه الخليفة حائرًا، فعرفه بنفسه من خلال رسالاته السماوية.

وقد اجتهد الإنسان بنفسه في الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال الأساطير أولًا، ثم الفلسفة ثانيًا، ثم العلم ثالثًا. وقد مثلت هذه الأسئلة تحديات للعقل الإنساني، وكان طبيعيًّا أن يتقارب الإنسان وأن يتباعد عن الحقيقة كل حين وآخر.

سبحانك ربي؛ إلى هذا الحد تغمض على الإنسان معرفة نفسه، فما أدراك بمن ينكرون الوجود الإلهي لأن معرفة الذات الإلهية قد غمضت عليهم!!!

وقد صدق الولي الصوفي أبو عبد الله الجلاء حين قال:

كَيفِيَّةُ المرءِ ليس يُدرِكُها ... فكيف كيفية الجبارِ في القِدَمِ!
هو الذي أحدثَ الأشياءَ مبتَدِعًا ... فكيف يُدركُه مستحدَث النَسَمِ!

3) الرسالة... المنظومة الثلاثية

كان طبيعيًّا ألا يترك الإلهُ الخالق الخليفةَ المخلوق هَمِلًا، يتخبط في بحثه عن أجوبة لتساؤلاته.

لقد أمد الإله الخالق مخلوقه بـ «**المعلومات**» المطلوبة للإجابة عن هذه التساؤلات. وقد أُرسلت هذه المعلومات من الإله المرسل إلى الإنسان المستقبل من خلال ثلاثة وسائط معلوماتية:

رسالة داخلية، وهي **الفطرة**؛ التي تمد الإنسان بالشعور الداخلي بوجود الإله، مطلق القدرة والعلم والحكمة، وتحثه للبحث عن أجوبة لأسئلته الوجودية.

والرسالة المنظورة، وهي **الكون والأنفس** وما فيهما، فهما كتاب الله المنظور الذي يدرك الإنسان من خلال قراءته صفات ربه عَزَّوَجَلَّ.

والرسالة المنطوقة المسطورة، وهي **الكتب السماوية،** التي تنبه الفطرة، وتدعو الإنسان لقراءة الكتاب المنظور، وتجيبه بشكل مباشر عن تساؤلاته.

وسندرس الآن بعضًا من نصيب كل من هذه الرسائل الثلاث من المعلومات:

الفطرة
الرسالة المعلوماتية الداخلية

الإنسان والوجود الإلهي

إن الإنسان ليس في حاجة إلى دين لإدراك وجود الإله!

> **فالوعي بوجود الإله شعور فطري، رَكَّبَه الله عَزَّوَجَلَّ في الجانب النفسي للإنسان.**

ويقوم الإنسان بقبول (أو تأسيس) نظامه الديني كَبِنْية تعلو هذا الشعور، ولا تشترط هذه **الفطرة** أن يشتمل النظام الديني على صفات محددة للإله، كما لا تستلزم توضيح الغايات من الخلق، ولا تشترط أي طقوس لعبادة الإله الخالق،إنما تقوم بتأكيد وجود الإله من حيث المبدأ وحسب.

لذلك، كما يتم إشباع هذا الوعي الفطري بوجود الله بالعقيدة الصحيحة و بالعبادة الحقة، **فيمكن إشباع هذا الوعي بعقيدة وعبادة وثنية أو بدائية**، تم استبعاد العقل تمامًا عن النظر فيها.

و يُعَرِّفنا القرآن الكريم أن الله عَزَّوَجَلَّ قد زرع هذه الفطرة بذاته في النفس البشرية، دون وساطة من مَلَك مقرب أو نبي مُرسَل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ... ﴾ [الأعراف: 172].

ولعل الفطرة هي المقصودة في قول الحق عَزَّوَجَلَّ ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: 35] فهي النور الذي يكاد يضيء في نفس الإنسان ليدله على خالقه ولو لم تمسسه نار المكاشفة الإلهية، ثم يُضاف نور النبوة إلى نور الفطرة ليهدي الإنسان إلى ربه عَزَّوَجَلَّ.

ولعل من **آليات هذه الفطرة** ما أودعه الله عَزَّوَجَلَّ في عقولنا من «**قانون السببية**»، الذي يدفعنا للبحث عن سبب لكل موجود، وتتدرج السببية حتى نصل إلى السبب الأول للوجود كله. ومن آليات الفطرة كذلك، ما خُلقنا عليه من **إدراكنا لعجزنا ومحدودية قدراتنا** مما يجعلنا نبحث عن الكمال في خارج النفس الإنسانية، ونبحث أيضًا عن الدعم السماوي المطلق. ومن آلياتها أيضًا **شوق الإنسان إلى العدل** لما يرصده من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، فيبحث عن القصاص على يدي حَكَمٍ عدل مطلق.

و ينبغي أن نؤكد أن كَوْن علاقة الإنسان بالإله فطرة نفسيه، لا يعني استحالة، أو عدم الحاجة، إلى إقامة **الدليل العقلي** على وجود الله عَزَّوَجَلَّ. فالكتاب الذي بين يديك -قارئي الكريم- إنما هو رحلة معلوماتية عقلية لإقامة هذا الدليل.

الوجود رسالة توحيد

لم تكن محض صدفة أن يتوجه أبو الأنبياء إبراهيم ﷺ وأيضًا خاتم الأنبياء محمد ﷺ

إلى السماء، يتأملانها و يستدلان منها على الإله الخالق. و يؤكد هذا السلوك أن «الوجود هو أول رسالات التوحيد»، خلقه الله عَزَّوَجَلَّ على هذه الهيئة ليشير إليه و إلى وحدانيته وأسمائه وصفاته.

لذا فإن الوجود رسالة توحيد تمامًا مثلما أن الديانات الإبراهيمية رسالات توحيد. وكما أن القرآن الكريم هو « كتاب الله المسطور» فالوجود هو « كتاب الله المنظور» الذي نستنطقه مفاهيم الألوهية التي نزلت الكتب المقدسة لتعرفنا بها.

و يخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: 53]. وتخبرنا الآية الكريمة أن العلم سيكشف للإنسان من الدلائل في الكون وفي الأنفس البشرية ما يجعلنا نجزم بأن مفاهيم الألوهية حق، وأن آيات الوجود هي الحجة على صدق آيات القرآن الكريم.

ومن ثم فإن «القراءة العلمية للوجود» تقدم البرهان على صدق المحاور الثلاثة للألوهية (إثبات الوجود الإلهي - الإقرار بالتوحيد - التعريف بما شاء الله عَزَّوَجَلَّ أن يطلعنا عليه من أسمائه الحسنى وصفاته العُلى).

الكون... رسالة تحمل معلومات كونية

عندما نقول إن الوجود (الكون والنفس البشرية) هو « **كتاب الله المنظور**»، فهل قولنا هذا هو بلاغة لغوية مجازية أم إنه قول علمي دقيق؟

إنه سؤال عبقري يطرح نفسه في هذا المقام.

وللإجابة عن هذا السؤال، تعالَ نتأمل الكون، لنعلم أن كانت تتوافر فيه مستويات المعلومات الكونية الأربعة (الشفق - الدلالة - الفعل - الغائية)، فإن توافرت، كان الكون **حاملًا لمعلومات كونية**، مرسلها هو الإله، ومستقبلها هو الإنسان، وكان وصفنا للكون بأنه كتاب الله المنظور وأنه رسالة توحيد وصفًا حقيقيًّا دقيقًا.

إن تأملنا للكون باحثين عن توافر السمات الأربع للمعلومات الكونية يقودنا إلى توافر

هذه السمات، بشرط أن يكون المتأمل **ممن يدركون لغة الوجود** التي نتحدث عنها، وهي لغة لا يفقهها إلا المؤمنون بالإله عَزَّوَجَلَّ:

مستوى الشفق (الشفرة+ القواعد)

عندما يتأمل الإنسان الكون، فإنه يرصد موجوداته الهائلة؛ من مجرات وسُدُم ونجوم وكواكب وأقمار وشهب ونيازك، تتحرك جميعها في فضاء شاسع بسرعات هائلة متفاوتة، تحركها وتتحكم فيها قوى كونية هائلة، هذا بخصوص الكون المرصود الذي هو **عالم الشهادة.** وفي الوقت نفسه، يدرك الباحث المهتم أن في الكون موجودات خفية، تتمثل فيما أطلق عليه العلماء المادة السوداء والطاقة السوداء، وجسيمات تحت ذرية وأيضًا مضادات المادة وغيرها.

إذا كانت هذه الأجرام والقوى لا تمثل للكثيرين إلا موجودات مادية لا معنى وراءها، فإنها بالنسبة لغيرهم من المؤمنين ترمز إلى كيانات ومعان نشير إلى بعضها بعد قليل. ومن ثم، يمكن القول دون أدنى تجاوز للواقع، بأن **كل موجودات الكون هي شفرات مجردة ترمز إلى معانٍ وكيانات وراءها.**

وفي نفس الوقت، فإن أجرام الكون وجسيماته وقواه تتحكم فيها مجموعات من **القوانين الطبيعية،** تعتبر بمثابة **القواعد التي تحكم رموز الشفرة.** وبالتالي يتحقق في موجودات الكون شِقَّي مستوى الشفق (الشفرة +القواعد) المطلوب توافره في المعلومات الكونية.

مستوى المعنى/ الدلالة

إذا كانت موجودات الكون هي رموز في شفرة يقرأها المؤمنون، فهل لهذه الشفرة من معان؟

يا الله... ما أروع ما تشير إليه شفرة موجودات الكون من معان، إنها معان يرتقي فيها تدريجيًّا عقل المؤمن وقلبه:

إن سعة الكون هي شفرة ترمز إلى اسم الله الواسع عَزَّوَجَلَّ.

أن ما يتفجر في قلب نجوم الكون من تفاعلات نووية هو شفرة ترمز إلى أسماء الله الجبار والقوي... عَزَّوَجَلَّ.

إن مـا يميز بنية الكون من دقة وتوازن و إحكام، هو شـفرة ترمز إلى أسـماء الله الحكيم - القدير... عَزَّوَجَلَّ.

أن شروق الشمس وغروبها هي شفرة تحمل معنى بداية النهار وبداية الليل.

إن منازل القمر هي شفرة تحدد دوران الشهور وتتابعها

وهكذا... هكذا..

إن كل حدث كوني، صغر أو كبر، يحمل من المعاني والدلالات الكثير والكثير...

مستوى العمل/ الفعل

هل تتطلب المعاني التي يدركها المؤمن من شفرة موجودات الكون أفعالًا؟

أن هذا شرط أساسي، حتى نعتبر أن الوجود لغة تحمل للإنسان معلومات كونية

إن إدراك مـا لله عَزَّوَجَلَّ من أسـماء وصفات الجمال والجلال يدفع الإنسـان دفعًا إلى طاعته والعمل على مرضاته.

وما أشد ارتباط حياة الإنسان الدينية وطقوسه بلغة الكون وشفرتها:

فصلاتنا ترتبط بدوران الشمس في كبد السماء

ومنازل القمر تحدد صومنا وحجنا وأعيادنا

وقراءتنا/ إدراكنا لقوانين الطبيعة تمكننا من توجيهها واستغلالها لبناء ا لحضارة الإنسانية

وأمطار السماء، شفرة تدعونا لأن نزرع الأرض

وهيجان البحر، شفرة تدفع الصيادين والمصطافين للعكوف في بيوتهم

إنها أفعال وأفعال... **حياة كاملة** تقوم على إدراك معاني شفرة الوجود

مستوى الغاية

إذا كان العنصر الغائي هو أعلى مسـتويات المعلومات الكونية، فما الهدف من قراءة شـفرة الكون وفهم معانيها والقيام بما تتطلبه من أفعال؟ هل هناك غاية وراء ذلك كله؟

لا شك أن الغاية هي **معرفة الله** عَزَّوَجَلَّ **التي تقود إلى دخول الجنة**، وهي الغاية وراء ما أشار إليه القرآن الكريم بقول الحق عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56].

سبحانك ربي...

هكذا تتحق في الكون المستويات الأربعة من المعلومات الكونية، فيكون جديرًا بأن نصفه بـ« **كتاب الله المنظور** »، وبأن نقول إن «**الوجود رسالة توحيد**». هكذا ينبغي أن نفهم قول الحق عَزَّوَجَلَّ ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: 101]،

سبحانك ربي...

إن هذه الآية تحمل إشارتين شديدتي الأهمية في موضعنا هذا:

الأولى؛ أن الله عَزَّوَجَلَّ يأمرنا بأن ننظر «**ماذا في السماوات والأرض**»، ولم يقل «انظروا السماوات والأرض». ففي السماوات والأرض من المعاني الكثير الكثير، منها ما أشرنا إليه.

الثانية؛ أن النظر في السماوات والأرض لن يفيد غير المؤمنين؛ فهؤلاء غير **قادرين على فك شفرة الكون وقراءة لغته.**

ويبقى أن نقول: وماذا ينبني على إدراك أن الكون يحمل معلومات كونية؟

الإجابة عن هذا السؤال هي الاستنتاج الأكبر من قوانين المعلومات الكونية، وهو:

أن تلك المعلومات الكونية تحتاج إلى مصدر غير مادي مطلق العلم والحكمة والقدرة.

وبذلك تتكامل الدائرة لنتحقق بحق من غاية إرسال كتاب الله المنظور إلى البشر، تلك الغاية التي هي **معرفة ربي** عَزَّوَجَلَّ، وهذه المعرفة هي العبادة بمعناها الأوسع.

هنا سؤال يطرح نفسه: **وهل تفيدنا قراءة الكون حقًا في معرفة صفات الله** عَزَّوَجَلَّ؟

لعل الرحلة العقلية الفعلية التي خاضها سير أنتوني فلو (والتي أشرنا إليها في بداية الفصل) والتي خرج منها باستحالة أن تكون العشوائية أو قوانين الطبيعة مصدرًا للمعلومات الكونية،

أوضح مثال لاعتبار أن **الكون رسالة توحيد** ينقل بها الإله معلومات عن أسمائه وصفاته إلى الإنسان. وقد:

خرج أنتوني فلو من رحلته العلمية والفلسفية بما أسماه «الحد الأدنى للصفات التي ينبغي أن يتسم بها السبب الأول»، وجاءت هذه الصفات مطابقة تمامًا لما تطرحه الديانات عن الإله.

وأهم هذه الصفات:

1) الإله غير مادي، وليس كمثله شيء

جاء في الاستنتاج الرابع المنبني على قوانين المعلومات الكونية أن مصدر المعلومات ينبغي أن يكون كيانًا غير مادي، وذلك باعتبار أن المادة مخلوقة ولها بداية.

وقد نص القرآن الكريم على أن الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

وتبدأ هذه الآية الكريمة بتنزيه الإله عن كل شبيه، ثم تثني باطلاعنا على بعض صفاته من خلال مقابلتها - مجازًا - بصفات البشر (السمع والبصر).

والله عَزَّوَجَلَّ في العقيدة الإسلامية، **لا يُقَدِّره فهم؛ ولا يصوره وهم، ولا يدركه بصر ولا عقل، ولا يبلغه علم، وكل ما خطر ببالك فهو بخلافه.** الله عَزَّوَجَلَّ **ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.** والله تعالى لا يعلم كيف هو إلا هو، سبحانه وتعالى. وشراح العقيدة متفقون على أن البشر لا يعلمون لله حدًّا ولا يحدون شيئًا من صفاته.

ولا شك أن **هذه العقيدة تمثل أرقى ما وصل إليه العقل من تجريد وتنزيه** يليقان بالمبدأ الأول الواحد الأحد الذي ليس كمثله شيء، **بعيدًا عن التجسيم والتشبيه والخلط** بين ما هو إلهي وما هو إنساني أو طبيعي.

2) الإله سرمدي Eternal

ونعني بسرمدي أن ربنا عَزَّوَجَلَّ أزلي لا بداية له، وأبدي لا نهاية له.

وقد رأينا في الاستنتاج الأكبر من المعلومات الكونية أن الإله أزلي لم ينشأ من شيء.

و إذا كان الشيء غير الأبدي يكون عرضة للوقت، فإن الإله خالق الوقت لا يكون عرضة له، ومن ثم تجتمع له الأبدية والأزلية.

3) الإله مطلق/كلي/ لا نهائي العلم Omniscienet

إن هذه الصفة للإله هي أكثر الصفات ارتباطًا بـ «المعلوماتية» التي هي موضوع الكتاب. إن مصطلح مطلق/لا نهائي Infinite يُستخدم عادة لوصف شيء بعيد للغاية؛ زمانيًّا أو مكانيًّا أو كميًّا، كأن نقول إن هذا الشيء قديم قدم مطلق/ لا نهائي. إن خطابنا الدارج هذا ليس دقيقًا. فعندما نصف الإله بأنه مطلق/ لا نهائي العلم ينبغي أن نفارق نطاق المحدود المتناهي بشكل كامل، أي أن نفارق منطق المقارنة المعتادة والتقدير والتقويم الموجودين في العالم المحدود/ المتناهي.

ومن ثم فإن قولنا إن الإله عليم بشكل مطلق تعني أنه **يعلم (حالًا) كل شيء عن كل شيء في الماضي والحاضر والمستقبل**[1]. لذلك نستطيع أن نقول بيقين إنه لا أحد علمه فوق علم الإله الذي لا يعجز عن الإجابة عن أي سؤال.

---

(1) إن الإله ينبغي أن يعرف بدقة كل ذرة، سواء في أرضنا، أو الشمس أو أي من التريليون نجم الموجودة في مجرة أندروميدا، أو في أي من المائة وسبعين ألف مليون مجرة المعلومة في الكون حتى الآن. أنه يعرف كل حبة رمل في الصحاري وشواطئ البحار التي لا تتشابه أي حبتين منها.

كذلك يعرف الإله التفاصيل الشخصية لكل إنسان؛ لون عينه، عدد شعر رأسه، مقاس حذائه، بصمات أصابعه، كل خلايا جسمه، وأيضًا العمليات الكيميائية التي تتم داخل كل خلية في جسم كل كائن حي. وفوق ذلك فهو يعرف كل فكرة دارت في رأس أي إنسان منذ نشأة البشرية إلى نهايتها في المستقبل. وبالمثل يعرف أي فعل قام أو يقوم أو سيقوم به كل كائن. كذلك يعرف كل شيء عن كل ورقة شجر وما يتم فيها من عمليات أيضية وما يحدث لها من اهتزازات أو سقوط.

ولاستكمال صورة العلم المطلق تأمل هذا المثال: حدث أن ذهبت في الصباح الباكر إلى الفرن لشراء الخبز، وجدت هناك أنواعًا وأشكالًا متعددة من الخبز، وقد نصحك البائع بالخبز الشامي الذي عليه عرض إذا اشتريت ثلاثة أرغفة، قررت أن تأخذ ثلاثة منه مع رغفين من نوعين آخرين. هنا يبرز سؤال: هل كان الإله يعلم باختيارك قبل أن تتخذ القرار؟ نعم، لا شك، هل أعاق ذلك العلم حريتك في اتخاذ القرار؟ بلا شك لا. وهذا ما نطلق عليه أن علم الله «كاشف» للمستقبل وليس ملزم، فأنت عند اتخاذ القرار لم تكن تدرك ما عرفه الله عن قرارك، والمدهش إن الإله لم يعرف اختيارك قبيل تعاملك مع الخباز، لكنه كان يعلم ذلك حتى قبل خلق الكون، هذا المثال يضيف شيئًا من المقصود بالإطلاق واللا نهائية المعلوماتية.

وقد نص القرآن الكريم بشكل مباشر على طلاقة العلم الإلهي[1]، بقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: 59]. وللإجابة عن سؤال: وكيف نقرأ طلاقة العلم في الوجود، نقول:

لقد غيرت **«نظرية المعلومات»** بشكل جذري من نظرتنا للكون وللحياة. فبعد أن كان علماء الكونيات يعتبرون الكون «ظاهرة فيزيائية»، ويعتبر البيولوجيون الحياة «ظاهرة كيميائية» تبدلت نظرة العلم إليهما وصار يعتبرهما **«ظاهرتين معلوميتين»**، أي أن **الأصل فيهما هو المعلومات**، أما المادة والطاقة فهما المظهر الخارجي للمعلومات. وكذلك أكدت نظرية المعلومات أن **أصل المعلومات يستحيل أن يكون سوى مصدر ذكي «عليم» «خبير»**، سبحان ربي عَزَّوَجَلَّ.

وفي الفصل بعنوان «قوانين الطبيعة لا تكفي» من الباب الثالث، توصلنا إلى أن مفهوم المعلوماتية قد أثبت **في ضوء فيزياء الكم أن ليس هناك حد أقصى للمعلومات**، أي أن المعلومات مطلقة ولا نهائية، مما يحتم القول بأن مصدرها مطلق/ كلي/ لا نهائي العلم، وبالتبعية الذكاء والقدرة.

سبحانك ربي... ما أروع أن يثبت العلم ما اعتدنا اعتباره قضية إيمانية فحسب.

4) الإله مطلق/ كلي/ لا نهائي الذكاء

يستخدم القرآن الكريم الصفة الإلهية **«الحكيم»** للدلالة على الذكاء وأكثر، فهي تعني فوق الذكاء الخيريَّة وشمول النظرة[2].

ولا شك أن الصفة الإلهية **«الحكيم»** من أوضح الصفات التي تتجلى في خلق الوجود واستمراريته وإدارته. وقد عبر أينشتين عن ذلك المعنى بمقولته الحكيمة: «إن أكثر الأشياء استعصاء على الفهم في الوجود أنه مفهوم»، وأيضًا بمقولته المشهورة: «إن الإله لا يلعب النرد». وقد كشف العلم الحديث العديد من جوانب الحكمة في منظومة الوجود[3].

(1) جاء وصف ربي عَزَّوَجَلَّ بالعليم في أكثر من مائة وستين آية من آيات القرآن الكريم.

(2) جاء وصف ربي عَزَّوَجَلَّ بالحكيم في قرابة مائة آية من آيات القرآن الكريم.

(3) أهم هذه الجوانب: =

إن هذا الانضباط والدقة والقابلية للتنبؤ التي يتمتع بها الوجود (سواء في مستواه الكوني أو الفيزيائي أو البيولوجي أو الإنساني) يعكس بوضوح ما يتمتع به خالقه من **«حكمة» و«قدرة»**.

وقد أثبت القانون الرابع المعلومات الكونية، وأيضًا الاستنتاج الأكبر ضرورة أن يكون مبدع الكون مطلق الذكاء والحكمة والقدرة

5) الإله مطلق/ كلي/ لا نهائي القدرة Omnipotent

نعني بالقدرة هنا القدرة على خلق الكون و إدارته وحفظه.

وقد رأينا في الفصل الرابع من الباب الثاني أن مبدع المعلومات الكونية في نظام الدنا - البروتين في الخلايا الحية ينبغي أن يكون ذا قدرة خَلقية كبيرة (مطلقة) (الاستنتاج الثالث من القوانين العلمية للمعلومات الكونية).

ونستدل على طلاقة القدرة الخلقية بما تكشفه عملية خلق الكون والحياة والإنسان بوضوح من **منظومة الصفات الإلهية المتعلقة بالقدرة على الإنشاء «الخالق ـ البارئ ـ المصور»**. وقد توصل العلم الحديث إلى عددٍ من الأدلة على احتياج عملية الخلق إلى إله يتمتع بهذه الصفات بشكل مطلق[1].

= - تتابعت نشأة الكون بعد الانفجار الأعظم بهيئة تكشف توجهه إلى «غاية نهائية» ينبغي أن يكون قد تم تقديرها مسبقًا.

- كل خطوة من خطوات نشأة الكون كانت نتيجة حتمية للخطوة السابقة وتمهيدًا لا غنى عنه للخطوة التالية.

- يخبرنا القانون الثاني للديناميكا الحرارية بأن الفوضى التي أعقبت الانفجار الأعظم كان ينبغي أن تُسْلِمَ الكون لمزيد من الفوضى، ولا يفسر ما أعقب الانفجار من انضباط (ما عليه الكون الآن) إلا تدخل مُنَظِّم «حكيم» من خارج منظومة الكون، كما يشترط القانون المذكور.

- عبرت مقولتا أينشتين السابقتين عما يميز الكون من دقة وانضباط وقابلية للتنبؤ، وقد كانت «حكمة» الخالق الذي حقق هذا الضبط الدقيق السبب المباشر لإيمان أينشتين بالإله الخالق الحكيم.

- لا شك أن نشأة واستمرارية وتدبير ظاهرة الحياة يحتاج إلى صفات منظومة الحكمة.

- أما المجلى الأكبر لحكمة الإله فلا شك أنه الإنسان الذي يزدان بعقله البشري الحكيم.

(1) أهم هذه الأدلة:

- للكون بداية، وقد نشأ في عدم مطلق (البرهان الكوني). =

كذلك يحتاج الوجود (الكون ـ الحياة ـ الإنسان) بعد الإنشاء إلى آليات المتابعة، لتحقق له **استمرار التشغيل والحفظ والبقاء**. وتكشف هذه المهام عن طلاقة القدرة كما تتجلى في منظومة الصفات الإلهية **المتعلقة بالمتابعة (الهادي ـ الحفيظ ـ القيوم)**.

ولعل استمرار فاعلية قوى الطبيعة الأربع، والاستقرار الدقيق للثوابت الفيزيائية، وانضباط قوانين الطبيعة المستمر، من أوضح ما كشفه العلم الحديث من آليات المتابعة. وقد أثبت العلم أن نشأة هذه القوى والثوابت والقوانين يختلف تمامًا عن استمرارية فاعليتها، ومن ثم فإنها تحتاج إلى تفعيل آنٍ (لحظة بلحظة).

ويشتمل القرآن الكريم على العديد من الآيات التي تنص صراحة على أن ربنا عَزَّوَجَلَّ مطلق القدرة والخالقية والقوة[1].

الإنسان كائن برزخ

وكما أخبرتنا قراءة الآفاق والأنفس بالمنظور المعلوماتي ببعض صفات الإله، فإن قراءة الأنفس تخبرنا بالعديد من صفاتنا، ولعل أهمها الطبيعة الثنائية للإنسان، والتي تعني أنه يجتمع فينا عنصران؛ مادي وغير مادي:

أما العنصر المادي، فأمر تتفق عليه العقول التي ترصد الواقع.

وأما العنصر غير المادي، فقد أثبتناه من خلال الاستنتاج الثاني من قوانين المعلومات الكونية.

وقد صرح القرآن الكريم بهذه الثنائية في قول الحق عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي

= - احتاجت نشأة الكون والحياة والإنسان إلى ضبط دقيق محكم للعديد من ثوابت الطبيعة وقوانينها (برهان الضبط الدقيق).

- كانت بنية الكون وظروف كوكب الأرض مهيئة تمامًا لنشأة الحياة وظهور الإنسان (المبدأ البشري).

- المُكَوِّن المعرفي الهائل المطلوب لنشأة الحياة وتنوع كائناتها يفوق قدرة العشوائية والصدفة على تجميعه.

- تحتاج نشأة الإنسان إلى موجد يتمتع بصفات منظومة الخلق.

- لا يمكن تفسير نشأة العقل البشري بالتطور عن كائنات أدنى، ولم يملك العلم إلا القول بأن ظهور العقل البشري كان «انبثاقًا»، وهو اصطلاح مبهم علميًّا، لا يختلف عن اصطلاح «الخلق» عند المتدينين.

(1) تكرر معنى أن الله على كل شيء قدير في قرابة الخمسين آية من القرآن الكريم. وتكررت الإشارة إلى ربي عَزَّوَجَلَّ باسمه «خالق» أكثر من مائتي مرة. وتكررت الإشارة إلى أن ربي «قوي» ثلاث عشرة مرة في آيات القرآن الكريم.

﴿خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٨ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: 28، 29].

لقد كان الوجود قبل خلق الإنسان مختلفًا عنه بعد خلق الإنسان. فبخلق الإنسان أصبح في الوجود «**كائن ذو وعي عميق**»، فأصبح الوجود واعيًا بنفسه لأول مرة. كذلك بخلق الإنسان صار في الوجود «**كائن مِثَال**»، تتجمع فيه صفات الوجود المخلوق وصفات الإله الخالق، أي إن الإنسان «**كائن برزخ**» بين الخالق والمخلوق.

ويُعبر عن ذلك قولُ الإمام علي بن أبي طالب:

وتزعُمُ أنك جُرمٌ صغيرٌ وفيكَ انطوى العالمُ الأكبرُ

حقًّا إن الإنسان هو **الكائن المرآة البرزخ**.

القرآن الكريم[1]
خاتم الرسالات السماوية

الإله المرسل... الإنسان المستقبل

ننظر كمسلمين إلى القرآن الكريم باعتباره آخر الرسالات السماوية، أبدعه وصاغه الإله الخالق السرمدي، العليم الكريم، وأرسله إلى الإنسان **عبر وسائل التواصل** حتى وصلت إلينا. وقد سار تسلسل تواصل الرسالة كالآتي:

الإله ← اللوح المحفوظ ← الوحي جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ← الرسول محمد ﷺ ←

جيل الصحابة ← أجيال متتالية متواترة من الحُفَّاظ ← حفاظ ← مليارات المسلمين

مصحف أبو بكر ← مصحف عثمان ← مصاحف

(1) اخترنا القرآن الكريم كمثال لكتاب الله المسطور، إذ أنه الأكثر ثبوتًا وعصمة من بين الكتب السماوية المختلفة.

وعبر وسائل التواصل هذه، **تكفل الله** عَزَّوَجَلَّ **بحفظ القرآن الكريم** ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: 9].

وقد تم هذا الحفظ من خلال **آليات سُخِّرت لها أجيال المسلمين المتعاقبة**، حتى وصل النص المعلوماتي على هيئته بدقة كاملة من الإله المرسل إلينا. ولا أقول إننا نتلقى - كمستقبلين- الرسالة «كأنها» أُنزلت علينا بشكل مباشر، بل هذا بالفعل هو **الوصف الدقيق لعملية التواصل بين الإله المرسل وكل إنسان من المستقبلين عبر الزمن. ولهذا المعنى حديث آخر.**

المعلوماتية دليل على ألوهية مصدر القرآن الكريم

نبدأ في تحليل القرآن الكريم بالمنظور المعلوماتي، من خلال سؤال يطرح نفسه:

كيف نستطيع من خلال المنظور المعلوماتي العلمي والمنطقي أن **نتيقن من صحة نسبة الرسالة (القرآن الكريم) إلى مصدرها/ مرسلها (الإله)؟**

الإجابة: إن ذلك يكون بالمنظور المعلوماتي:

> **عن طريق إثبات أن النص المقدس يحمل كمًّا كبيرًا من المعلومات الكونية الجديدة التي يعجز عن إبداعها إنسان وقت تنزيل القرآن.**

ويكون هذا الإعجاز من أنواع أربعة: إعجاز بنيوي وإعجاز تنبؤي وإعجاز علمي وإعجاز نفسي.

وقد أُلِّفت حول جوانب إعجاز القرآن الكريم مئات المؤلفات الماتعة، لذلك نحيلك قارئنا الكريم إلى ما يناسبك منها، حيث إن تفصيلات هذا الموضوع تخرج عن مجال كتابنا.

وقناعتي أن من أهم دلالات ألوهية القرآن الكريم هو **التزامه بمنهج التفكير العلمي**[1]،

---

(1) ملامح التزام القرآن الكريم بمنهج التفكير العلمي: (تلخيص من كتاب مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور محمد عبدالله دراز).

- يُعتبر «المنهج التجريبي» هو إضافة الفكر الإسلامي الكبرى للحضارة الإنسانية في مجال العلم، وقد تم تأصيل هذا المنهج من خلال التوجيهات المنهجية القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، التي التزم بها علماء المسلمين فحققوا ثورة علمية حقيقية في العصور الوسطى، ثم انتقل هذا المنهج إلى أوروبا مع انتقال العلم الإسلامي إليها، مما قدح زناد الثورة العلمية التي أخرجت أوروبا من ظلام عصورها الوسطى. =

فذلك من أكبر ملامح المعلوماتية، خاصة في عصر لم يكن ذلك المنهج معروفًا في الفكر الإنساني البتة.

القرآن الكريم حامل للمعلومات الكونية

ذكرنا في الفصل الأول من الباب الثاني أن **المعلومات الكونية تتراتب بشكل هرمي في خمسة مستويات**، هي المستويات: الإحصائي والشفقي والدلالي والعملي والغائي. كما ذكرنا أن اعتبار

= - يمكن تقسيم التوجيهات الإسلامية لتحقيق المنهج التجريبي إلى مجموعتين:

أولًا: التوجيهات العقلية المعرفية: وتشمل تصنيف الإسلام لموضوعات المعرفة الإنسانية، توثيق العلاقة بين العلوم الإنسانية والعلوم التجريبية، اعتماد الشيء الجزئي المحسوس كموضوع للعلم، التركيز على الإدراك الحسي كمصدر للمعرفة، وأخيرًا التوجه إلى الخصائص وصرف النظر عن الجواهر والماهيات.

ثانيًا: التوجيهات الخُلُقية السلوكية: وتشمل تصنيف الإسلام لموضوعات المعرفة الإنسانية، توثيق العلاقة بين العلوم الإنسانية والعلوم التجريبية، واعتماد الشيء الجزئي المحسوس كموضوع للعلم.

- راعى القرآن الكريم أُسس التفكير العلمي في أربعة مستويات؛ وهي: تَتَبُّع بنية القرآن الكريم منهجًا علميًّا متكاملًا، استخدم القرآن الكريم منهج التفكير العلمي للاستدلال على ما يطرحه من مفاهيم العقيدة، استخدم القرآن الكريم منهج التفكير العلمي للاستدلال على ما يطرحه من مفاهيم الشريعة، وأخيرًا يدعونا القرآن الكريم لاستخدام التفكير العلمي عند النظر فيما حولنا وفي حياتنا.

- سيظل القرآن الكريم النموذج الذي لا يُبارى في النصوص العربية. فجمال أسلوبه محل إعجاب الجميع في كل العصور، حتى إن المتخصصين يصنفون «الأسلوب القرآني» كأسلوب متمايز عما سواه من الأساليب اللغوية. وتمتاز لغة القرآن بالسمو والجلالة التي تأخذ القلوب أكثر مما تغري الأسماع، وتثير الإعجاب لا المتعة، وتُفحم بالحجة أكثر مما تستثير العواطف، وتجلب السرور الهادئ لا الصاخب.

- تكمن ملامح القوة الجارفة التي تتمتع بها الدعوة الإسلامية في الصورة التي قُدمت بها الحقيقة الدينية (العقيدة)، والتي تضع حدًّا للخلافات التي ثارت بشأنها. فقد أجاب القرآن الكريم بشكل مُرضٍ عن السؤالين العقيدين الرئيسين اللذين تنازع واختلف حولهما الفكر الفلسفي: ما هو مصدر الكون والإنسان؟ وما مصير الكون والإنسان؟

وكانت الإجابة باختصار هي أنه لا شيء في الوجود يستحق العبادة والخضوع سوى الله الواحد القهار باعتباره الخالق، وأن مصيرنا يتطلب الإيمان بالحياة الأخروية.

- إذا كانت المعاملات في الإسلام (الشريعة) تقف وراءها منظومة أخلاقية متكاملة، فقد اتبع القرآن الكريم لتأصيل العنصر الأخلاقي في الإنسان منهجًا علميًّا فعالًا.

وأخيرًا، لا يكفي ليكون الإنسان مؤمنًا حقيقيًّا أن يؤمن نظريًّا بالحقائق المنزلة، وإنما يجب أيضًا أن يكرس حياته وأمواله في خدمه هذه العقيدة. أي إن عليه الاضطلاع بواجبه كمؤمن وأيضًا كمواطن،أي عبادة الله وفعل الخير، فالدين عقيدة وقانون، أي اعتقاد وطاعة، إنه إيمان وعمل صالح.

أيـة معلومات بمثابـة معلومات كونية يتطلب توافر المسـتويات الأربعة الأخـيرة، باعتبار أن المستوى الإحصائي الأول يتوافر في جميع أنواع المعلومات.

والآن تقـف وقفـة مع **القرآن الكريـم** لنرى إذا ما كانت مسـتويات المعلومـات الكونية الخمس متوافرة فيه.

1) **المستوى الإحصائي**

لا شـك أن **كل نص**، مهما كان خاليًا من الشـفق والدلالة والفعـل والغاية يمكن أن يخضع للدراسـة الإحصائية، و يتم التعامل مع المستوى الإحصائي للقرآن الكريم بصفة دائمة متكررة **عند برمجة ومعالجة النص المقدس في برامج الحاسوب.**

وهنـاك فـرع آخر من **المسـتوى الإحصائي القرآن الكريـم يرتبط بالمعـنى/ الدلالة.** كأن يحدد الدارسـون - مثلًا - عدد مرات الدعوة للتفكر والتعقل، أو عدد مرات ورود اسـم معين من أسـماء الله الحسنى، وغيرها وغيرها. و يسـتخرجون من هذه العمليات الإحصائية الدلالية العديـد من معـاني ومقاصد القـرآن الكريم. وتُشـتق من هذه الدراسـة الإحصائيـة الدلالية مقارنات إحصائية، صارت تعرف بـ «**الإعجاز العددي للقرآن الكريم**»[1].

وقناعتنا أن لهذا النوع من الدراسات قيمته في الحالات التي يتم فيها إجراء الإحصاء بشكل دقيق وأمين، و ينتقص من قيمته عدم الدقة في الإحصاء، التي يقع فيها الدارسـون، إما عفوًا أو قصدًا حين يتحايلون في الإحصاء ليبلغوا الأرقام التي تحقق مرادهم.

و إذا كان لهذا النوع من الإعجاز العددي (المستوى الإحصائي المعلوماتي) في القرآن قيمة في تثبيت قلوب بعض المؤمنين، فإنه قليل الجدوى في الاستشهاد على ألوهية مصدر القرآن الكريم في مواجهة المعارضين.

(1) من أمثلة ورود كلمة دنيا 115 مرة وكلمة آخرة 115 مرة.
وذكر كلمة ملائكة ومشتقاتها 88 مرة، وكلمة شياطين ومشتقاتها 88 مرة.
ورود كلمة المصيبة ومشتقاتها 75 مرة وكلمة الشكر ومشتقاتها 75 مرة.
ومثـل فهم قول الحـق عَزَّوَجَلَّ ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾ [الكهـف: 25] باعتبار أنها ثلاثمائة سنة ميلادية، تزيد تسعًا إذا ا ستخدمنا السنة الهجرية.

2) **المستوى الشفقي: مستوى الشفرة والقواعد**

اختار الله عَزَّوَجَلَّ أن يُشفر معلومات رسالته الخاتمة (القرآن الكريم) **باللغة العربية**، فصارت تستخدم رموزها وتتبع قواعدها. وقد جاءت بعض **الحروف/ الرموز المقطعة في صدر بعض السور** غامضة الدلالة، ولا شك أن ورود هذه الحروف يؤكد الطبيعة الرمزية لحروف اللغة.

ومن القواعد الأخرى التي التزم بها القرآن الكريم **قواعد التنزيل** الخاصة بترتيب الآيات داخل السور الكريمة، حتى تحقق المقصد منها على مستوى العقيدة والتشريع.

والقرآن الكريم حافل **بالدعوة إلى استقبال الشفرة**، ذلك عن طريق الحث على تلاوته وحفظه.

وقد تمت ترجمة/ تشفير معاني آيات القرآن الكريم إلى **جميع لغات العالم**، وهذا تصديق لقول الحق عَزَّوَجَلَّ بأن القرآن الكريم رسالة للعالمين.

3) **المستوى الدلالي**

من الناحية الدلالية، يُعتبر القرآن الكريم كتابًا فريدًا لا يقارن بسواه، سواء من الكتب السماوية الأخرى أو من الكتب البشرية، ويمكننا القول إن القرآن الكريم يمثل ينبوعًا للمعاني لا ينضب، حتى إننا بالرغم من صلاتنا بفاتحة الكتاب عشرات الآلاف من المرات، نجد دائمًا فيها الجديد من المعاني. و**تدور معاني آيات القرآن الكريم حول هذه الموضوعات:**

أ - يجيب عن **الأسئلة المحورية التي حيرت الفلاسفة والمفكرين**، حول مصدر الكون والأرض والحياة، وحول مصدر الإنسان ومساره ومنتهاه، وحول الغاية من وجودنا، وحول تعريفنا بالإله، وغيرها.. وهي الأمور المتعارف عليها بـ «**العقيدة**». فالإله عَزَّوَجَلَّ هو الوحيد القادر على الإجابة عن هذه التساؤلات.

ب- يبين القرآن الكريم الخطوط العريضة بخصوص **كيف ينبغي أن نسلك في الدنيا (الشريعة)**، من أجل أن ننعم بالجنة ونتحاشى العذاب في الحياة الأخرى. لذلك استحق أن يُطلق عليه مصطلح «**البوصلة القرآنية**»[1].

(1) هذا عنوان أشهر الكتب للدكتور أحمد خيري العمري.

جـ - ليس القرآن الكريم بكتاب علم، ومع ذلك لا يخلو من **الإشارات العلمية السابقة لعصرها**، والتي تثبت صحتها مع تتابع الاكتشافات العلمية، مما يثبت ألوهية مصدره.

وينبغي أن **ينطلق المتدبر لمعاني آيات القرآن الكريم من عدد من القواعد التي تعارف عليها المتخصصون**[1].

4) **المستوى العملي**

يتعامل الكثير من المسلمين مع القرآن الكريم **بطرق مخلة!** فيباهون بتلاوته للتبرك دون إدراك لمعانيه، ويهتم غيرهم بالمعاني دون ترجمتها إلى أفعال. لقد فات هؤلاء أهم غرض وراء تنزيل القرآن الكريم، **وهو أن يتحرك الإنسان إلى الفعل.**

وبالرغم من بديهية هذا المعنى، فقد حرص القرآن الكريم على تأكيده، حتى إنك لا تجد كتابًا سماويًّا أو بشريًّا يربط بين المستوى الدلالي/ المعنى والمستوى العملي لما يحمله من

(1) **أهم هذه القواعد:**

1- للقرآن الكريم مستويات متعددة من المعاني، يُحَصِّل كل إنسان منها تبعًا لمستواه، وكلما ارتقى الإنسان في المعرفة زاد نصيبه من إدراك تلك المعاني.

2- ينبغي فهم معاني آيات القرآن الكريم في إطار مقاصد الشريعة الرئيسية، وفي إطار مفهوم كلية النصوص الإسلامية.

3- تنقسم آيات القرآن الكريم إلى آيات محكمات وأُخر متشابهات، وتسمح الآيات المتشابهات بتجدد الأفهام لمعاني القرآن الكريم، وفي نفس الوقت يبقى بعضها غامضًا ليتضح في فترة تالية.

4- ينبغي القدوم على القرآن الكريم بخشوع وخضوع وحكمة وتدبر.

5- ينبغي أن يتوافر للمستقبل لآيات القرآن الكريم قدر من المعلومات يتزايد مع تطور المعارف الإنسانية، وذلك في المجالات العلمية واللغوية والتاريخية والثقافية وغيرها.

6- ينبغي أن يدرك المتأمل لآيات القرآن الكريم أسباب تنزيلها، ويكون ذلك مدخلًا للمعنى، ينطلق بعده إلى مستويات أخرى من المعاني.

7- تظل المستويات العليا لإدراك المعاني في تصاعد مستمر، ترتقي إلى أعلى كلما سمت همة الإنسان وزاد تحصيله للمعلومات، وفي النهاية تظل أعلى المعاني بعيدة عن منال الإنسان.

في النهاية، ينبغي عند النظر في آيات القرآن الكريم إدراك أنه كتاب سماوي روحي، وينبغي فهم معانيه في هذا الإطار.

معلومات كالقرآن. حتى إن القرآن الكريم يربط بين الإيمان (المبني على فهم المعنى) وبين العمل الصالح (المستوى العملي) في أكثر من خمسين موضعًا. كذلك يُشَبِه القرآن الكريم من لا يعملون تبعًا لما يعرفون بالحمار يحمل أسفارًا وبالأنعام.

5) **المستوى الغائي:**

لا تصبح المعلومات معلومات كونية إلا إذا كانت وراءها الغاية. والغاية من رسالة القرآن الكريم ليست ذات بال للمرسل، فالإله عَزَّوَجَلَّ غني عن العالمين، لكنها **تهم المستقبل في المقام الأول.** ويشتمل القرآن الكريم على **عدد من الغايات:**

- ❐ التعريف بالإله عَزَّوَجَلَّ
- ❐ تعريف الإنسان بالغاية من خلقه
- ❐ تعريف الإنسان بمصدره ومساره ومآله
- ❐ تعريف الإنسان بكل من العقيدة والشريعة ومقاصدها
- ❐ التعريف بالحياة الأخرى
- ❐ تعريف الإنسان بطريق تحقيق السعادة في الدار الآخرة

وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56]، هذه هي الرسالة.

ونؤكد هنا القاعدة المهمة في المعلومات الكونية. وهي أنه **لا فائدة من تحقق المستويات الأدنى دون الأعلى،** وأن كل مستوى أدنى هو سلمة لأعلى، فمستوى الشفرة والقواعد يقود إلى المعاني، والمعاني تقود إلى الأفعال، والأفعال تقود إلى الغايات.

القارئ الكريم... قد يخطر على بالك سؤال:

لماذا استعرضنا توافر المستويات الخمس للمعلومات الكونية في القرآن الكريم؟

الإجابة: كان ذلك لإثبات **أن القرآن الكريم يمثل نصًّا من المعلومات الكونية.**

ولكن: ما أهمية ذلك؟

إن توافر سمات المعلومات الكونية في القرآن الكريم يعني أنه تنطبق عليه القوانين العلمية والاستنتاجات الخاصة بالمعلومات الكونية؛ وأهمها صدورها من مبدع ذكي غير مادي.

وقد رأينا كيف أن المعلومات الكونية في القرآن الكريم تفوق قدرة العقل البشري على الإبداع، ومن ثم كانت جديرة بأن تُنسب إلى الإله عَزَّوَجَلَّ.

كثافة المعلومات القرآنية

ذكرنا أن أعلى كثافة معلوماتية إحصائية عرفها الإنسان هي كثافة المعلومات التي يحملها جزيء الدنا DNA في الخلايا الحية.

فكيف بكثافة المعلومات في القرآن الكريم؟

لا تقف كثافة المعلومات الكونية في القرآن الكريم عند **المستوى الإحصائي**، بل إن ذلك قليل الشأن بالمقارنة بأهمية تلك الكثافة على **المستويات الدلالية والفعلية والغائية**. و إذا كان قياس الكثافة المعلوماتية في هذه المستويات **علمًا جديدًا**، لم تتحدد ملامحه بعد، فيمكننا - كخطوط عريضة - أن نبين أن النص القرآني هو من أغزر النصوص المعروفة للبشرية على المستويات الدلالية والفعلية والغائية.

كثافة المستوى الدلالي/ المعنوي

يمكن قياس كثافة المستوى الدلالي **بعدد الأفكار ووزنها في كل آية.**

ولعل ذلك يتكشف - على سبيل المثال - في **آيات الميراث**، التي يحتاج تفصيل ما فيها من أحكام إلى مجلدات شكلت علمًا شرعيًّا كاملًا. كذلك تمثل **فاتحة الكتاب** تلخيصًا لمحتواه كله، كما تمثل **سورة الإخلاص** القصيرة ثلث القرآن، وهو الخاص بالتعريف بالإله عَزَّوَجَلَّ.

و إذا كان القرآن الكريم يبين للمسلمين ما ينبغي أن تكون عليه حياتهم الدنيا، أي أنه جمع كل ما في دساتير البشر، فذلك أمر قليل الشأن إذا قارناه بمحتواه الدلالي الخاص بتعريف

الإنسان بالإله وبحياته في الدار الآخرة، فذلك محتوى عجزت عنه جميع الكتب السماوية وغير السماوية.

كثافة المستوى الفعلي

لا شك أن أكبر مقياس لغزارة المستوى الفعلي لمعلومات القرآن الكريم هو أنه قاد أتباعه إلى **إقامة إحدى أكبر الحضارات الإنسانية** وأعمقها تأثيرًا في حياة البشر في فترة وجيزة للغاية لا تماثلها أية حضارة أخرى. وهذا ما دفع الفيزيائي الفيلسوف الأمريكي مايكل هارت Michael Hart لأن يضع رسولنا الكريم ﷺ على رأس أعظم مائة من الخالدين في تاريخ البشرية.

و إذا أخذنا التأثير العملي للآيات الكريمة كمقياس لكثافة المستوى الفعلي/العملي للمعلومات وجدنا أن **آية واحدة في تحريم الخمر** جعلت مليارات البشر عبر التاريخ يعزفون عن شرب الخمر. ولا يقف تأثير آيات القرآن الكريم الفعلي عند حياتنا الدنيا، بل هو **تأثير يمتد ليشكل** حياة **الإنسان الآخرة.**

ومن ثم، نقول بيقين إن البشرية لم تعرف أفعالًا وعطاءات عملية بهذه الغزارة كاستجابة لمقولات قصيرة قليلة.

كثافة المستوى الغائي

إن مقياس كثافة المعلومات على المستوى الغائي هو نجاحها في تحقيق الغرض منها. وتاريخ الصحابة والتابعين وتابعيهم مليء بالشخصيات التي تغيرت حياتهم تمامًا كاستجابة لآية أو بعض آيات من القرآن الكريم. وقصة إسلام الفاروق عمر بعد قراءته آيات قليلة من سورة طه قصة متواترة.

و إذا كنا قد ذكرنا نجاح المسلمين في إقامة إحدى أكبر الحضارات الإسلامية كدليل على كثافة المستوى العقلي، فإن إقامة تلك الحضارة أيضًا هي د ليل على كثافة المستوى الغائي.

وليس هناك دليل على كثافة المستوى الغائي لمعلومات القرآن الكريم أكبر من أن آياته الكريمة تقود البشرية إلى الجنة.

وفي ختام المبحث نقول:

إن كتابًا أُنزل منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، ويظل خالدًا منتشرًا بين ربع سكان الأرض، يشكل أفكارهم وسلوكهم وتوجهاتهم لهو بحق من أغزر الكتب المتداولة بين البشر في المستويات المعلوماتية الدلالية والعملية والغائية.

الإنسان كمرسل.. الإله كمستقبل

إذا كان القرآن الكريم يمثل رسالة من الإله المرسل إلى الإنسان المستقبل، فهل هناك أحوال يصبح **الإله هو المستقبل والإنسان هو المرسل؟**

نعم، ذلك في حالات كالصلاة والدعاء والمناجاة والشكوى لله عَزَّوَجَلَّ. ولعل الحديث القدسي «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين[1]... » يعكس تبادلاً للمعلومات بين الله عَزَّوَجَلَّ وبين عبده المصلي، مع كل آية من آيات فاتحة الكتاب.

وإذا كانت **الوسائط المعلوماتية** في رسالة الإله إلى خلقه (القرآن الكريم) وسائط متعددة متتالية، فإنها في الرسائل من الخلق إلى الإله تكون أكثر مباشرة. بل تكون **تواصلًا مباشرًا بلا وسائط**[2]، مما جعلها أكثر الطرق أمنًا، ويجعل الرسائل تصل بكل محتواها، القلبي قبل اللفظي. وبالإضافة إلى هذا التواصل المباشر، يخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ بأن هناك **ملائكة** يتبادلون علينا بالليل والنهار يرفعون أعمالنا وأقوالنا إلى الله عَزَّوَجَلَّ، مما يعني وجود وسائل تواصل أخرى ثانوية لنقل المعلومات، وتلك لحكمة يعلمها الله عَزَّوَجَلَّ.

وإذا تأملنا **الدعاء والمناجاة** من الإنسان لربه عَزَّوَجَلَّ، لنرى نصيبها من سمات المعلومات

---

(1) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(2) بين الله عَزَّوَجَلَّ هذا الاتصال المباشر في العديد من الآيات القرآنية، مثل:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: 16].

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: 186].

﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق: 19].

الكونية، ولنقارنها بالرسالة من الإله للبشر (القرآن الكريم)، لوجدنا أمورًا مدهشة في رسائل الإنسان إلى الله عَزَّوَجَلَّ، في مستويات المعلومات الخمس:

المستوى الإحصائي

لا شك أن رسائل الإنسان إلى الله عَزَّوَجَلَّ تتسم بأعلى كثافة معلوماتية إحصائية ممكنة. فرب كلمة، أو زفرة، أو آهه تنقل إلى الله عَزَّوَجَلَّ حال عبده كاملًا مفصلًا.

مستوى الشفرة والقواعد

ليس في رسائل الإنسان إلى ربه أية قيود على الشفرات وقواعدها، بل يستخدم الإنسان **آية لغة،** وربما تنهدات أو نظرات، وربما دموع أو أفكار. ويقوم الإله عَزَّوَجَلَّ بفك هذه الشفرات كلها ومعرفة معناها.

أما القواعد التي ينبغي اتباعها حتى تخترق الرسائل حجب السماء، بل وحجب الأنفس، فهي الصدق والإخلاص، وتخير الزمان والمكان والحالة الملائمة، والتخلص من العوائق كاقتراف الذنوب ومخاصمة الأقران.

المستوى الدلالي

إذا كان هناك سوء فهم يمكن أن يشين الرسائل بين البشر، فالإله عَزَّوَجَلَّ قادر على إدراك ما نبثه من معان، وإدراك كل ما يجيش في قلب المرء من أمور الدنيا والآخرة.

المستوى الفعلي

يخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ أن رسائلنا إليه لها رد فعل يقيني من قِبَله عَزَّوَجَلَّ.

فالدعاء إما أن يلقى استجابة فورية، أو بعد حين، أو يتم به رفع البلاء، أو يجد المرء أجره في الآخرة.

وقد تأتي الاستجابة الفعلية من الإله على هيئة شفاء مرض، أو ستر، أو رزق، أم إعزاز أو رحمة أو مغفرة، والأهم من ذلك هو دخول الجنة.

ولعل الحديث القدسي «أنا عند ظن عبد بي....»[1] يبين سرعة وعظم الفعل الإلهي كاستجابة لرسائلنا إليه، فإن تقربنا إليه ذراعًا تقرب إلينا باعًا، و إن أتيناه نمشي أتانا هرولة. سبحانك ربي.

المستوى الغائي

و إذا كانت الرسائل يمكن أن تحمل غايات لكل من المرسل والمستقبل، فإن **المرسل الإنسان** يقصد من رسائله تحقيق مطالبه، وأهمها دخول الجنة، كما يقصد إثبات عبوديته لله عَزَّوَجَلَّ. **والإله (المستقبل)** له غاية من رسائل عبده الإنسان، وهي التحقق من عبوديته له سبحانه.

من ذلك اتضح:

أن رسائل الإنسان إلى ربه وسيده عَزَّوَجَلَّ هي أيضًا رسائل تحمل معلومات كونية، تصدر من الإنسان باعتباره كائنًا ذكيًّا يشتمل على جوهر غير مادي.

بذلك تكاملت الصورة، ووصلنا إلى الغاية من الكتاب.

فقد رأينا عبر فصول الكتاب:

أن الكون والحياة (كتاب الله المنظور) يحملان قدرًا من المعلومات الكونية الهائلة، التي يعجز عن إبداعها إلا مصدر غير مادي، مطلق العلم والحكمة والقدرة. وأن القرآن الكريم (كتاب الله المسطور) يحمل قدرًا من المعلومات الكونية الهائلة، التي يتسم مبدعها بما يتسم به مبدع الكون والحياة.

كما رأينا من **رسائل الإنسان إلى ربه**، أنها معلومات كونية، تحقق غاية إثبات العبودية لله عَزَّوَجَلَّ.

بذلك تكاملت الغاية من الكتاب، وهي **النظر إلى المعلوماتية باعتبارها «برهان البربوبية الأكبر» ، الذي يفوق قدرة الماديين على الإنكار.**

(1) رواه مسلم، عن أبي هريرة.

القارئ الكريم

إن الوعي بوجود الإله **شعور فطري**، رَكَّبَه الله عَزَّوَجَلَّ في الجانب النفسي للإنسان. كذلك فإن الوجود رسالة توحيد تمامًا مثلما أن الديانات الإبراهيمية رسالات توحيد. وكما أن القرآن الكريم هو « كتاب الله المسطور» فالوجود هو « كتاب الله المنظور» الذي نستنطقه مفاهيم الألوهية التي نزلت الكتب المقدسة لتعرفنا بها.

ولا شك أن ما يحمله الكتابان من المعلومات الكونية يحتاج إلى **مصدر غير مادي مطلق العلم والحكمة والقدر ة.**

ولعل إثبات أن **النص المقدس يحمل كمًّا كبيرًا من المعلومات الكونية الجديدة التي يعجز عن إبداعها إنسان وقت تنزيل القرآن،** هو الدليل الأكبر على ألوهية مصدره.

كذلك فإن توافر سمات المعلومات الكونية في **القرآن الكريم يعني أنه تنطبق عليه القوانين العلمية والاستنتاجات الخاصة بالمعلومات الكونية؛** وأهمها **صدورها من مبدع ذكي غير مادي.**

ولا شك أن كتابًا أُنزل منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، ويظل خالدًا منتشرًا بين ربع سكان الأرض، يشكل أفكارهم وسلوكهم وتوجهاتهم لهو بحق من أغزر الكتب المتداولة بين البشر في المستويات المعلوماتية الدلالية والعملية والغائية.

وبالمثل؛ فإن رسائل الإنسان إلى ربه وسيده عَزَّوَجَلَّ هي أيضًا رسائل تحمل معلومات كونية، تصدر من الإنسان باعتباره كائنًا ذكيًّا يشتمل على جوهر غير مادي.

ومن ثم، فإن **الكون والحياة** (كتاب الله المنظور) يحملان قدرًا من المعلومات الكونية الهائلة، التي يعجز عن إبداعها إلا مصدر غير مادي، مطلق العلم والحكمة والقدرة. وأن **القرآن الكريم** (كتاب الله المسطور) يحمل قدرًا من المعلومات الكونية الهائلة، التي يتسم مبدعها بما يتسم به مبدع الكون والحياة.

بذلك تكاملت الغاية من الكتاب، وهي **النظر إلى المعلوماتية باعتبارها «برهان البربوبية الأكبر» ، الذي يفوق قدرة الماديين على الإنكار.**

حصاد الرحلة

القارئ الكريم

أستهل هذا الحصاد بثلاث حكايات تلخص الرسالة التي نطرحها من خلال هذه الرحلة مع **«المعلوماتية»**..

أولًا: لسنا في وكالة البلح!!

وكالة البلح هي سوق كبير يقع على الضفة الشرقية لنيل القاهرة، مخصص لبيع الخردة، أي الأشياء المعدنية البالية، ابتداء من المسامير والصواميل إلى موتورات السيارات وربما الطائرات المستهلكة. في هذا السوق، قد يبلغ ثمن موتور إحدى السيارات الفاخرة - إذا بيع كخردة - ألفًا من الجنيهات، وهو قيمة ما يحتوي عليه من قطع معدنية ولدائن، وهو نفس الموتور الذي يُباع جديدًا جاهزًا للتشغيل بأكثر من مئة ألف من الجنيهات!

ما السر وراء هذا الفرق في السعر؟

السر يكمن في أن **الموتور يُباع باعتباره «مادةً» فحسب**، أما الموتور الجديد فيباع باعتباره **مُنتَجًا علميًّا تكنولوجيًّا يقوم على «سر الصنعة The Know How»**، الذي هو **«المكون المعلوماتي»** المستخدم في صناعة الموتور، والثمن المرتفع الذي يدفعه مشتري موتور السيارة الجديدة إنما هو في الحقيقة ثمن هذه المعلومات.

ثانيًا: كريج ڤنتر، الصيني المبتدء!!

عندما تمكن عالم البيولوجيا الأمريكي كريج ڤنتر عام 2010 لأول مرة من تجميع **الشفرة**

الوراثية (كروموسوم) لخلية بكتيرية، قامت الدنيا ولم تقعد، وتعالت الصيحات بأنه شارك الإله إحدى مهامه، وهي خلق الحياة!

يدرك المتخصصون أن ما فعله ڤنتر بعيد تمامًا عن خلق الحياة وعن صناعة خلية بكتيرية، بل بعيد تمامًا أيضًا عن تقليد الخلية الطبيعية صناعيًّا!!. إن ما فعله ڤنتر هو أنه قرأ المعلومات المدونة في الشفرة الوراثية لإحدى الخلايا البكتيرية ثم أعاد كتابتها مستخدمًا حروفًا موجودة فعلًا في الطبيعة. تمامًا مثلما تقوم أنت «بنسخ» قصيدة وُلِدَ الهدى لأحمد شوقي، هل نقول إنك ألفت قصيدة شعرية!!

مرة أخرى إنها المعلومات، هي التي تعطي الخلية الحية الحياة، وهي التي **قرأها كريج ڤنتر وقام بنسخها**، وهو نفس ما كانت تفعله الصين العملاقة مع المنتجات اليابانية في بداية عهدها بالتكنولوجيا.

ثالثًا: الإله لاعب الجولف!!

ينهي ويليام ديمبسكي كتابة (التواصل Communication) بحكاية رمزية يشرح بها دور المعلومات والقوانين الفيزيائية في الطبيعة:

تخيل أن الإله لاعب للجولف، إن لعبة الجولف واقع اجتماعي أسسه الإنسان، يعتمد على مساحة شاسعة من الأرض والنجيل والماء ومضارب وكرات ومكونات أخرى مادية عديدة.

افترض أن الإله، بالرغم من أنه الخالق لكل هذه اللوازم قد **ارتضى أن يلتزم بقواعد اللعبة**. لذلك سيستخدم الإله كرات ومضارب الجولف المتاحة في الأسواق، ولن يسقط الكرات في الحفرة إلا عن طريق ضربها بالمضرب، وستحكم القوانين الإله في ضربه للكرة؛ فلو ضربها بقوة زائدة ستتجاوز الكرة الحفرة وربما تتهشم.

قد يستفيد الإله من معلوماته في تحقيق تقدير أدق لزاوية ضرب الكرة وأيضًا لقوة الضرب، واضعًا في الاعتبار قوة الريح وميل الأرض ومعامل احتكاك النجيل وغيرها من الأمور التي تتوافر له معرفتها ومعرفة تأثيراتها بدقة مدهشة. بذلك يكون الإله قادرًا على التغلب على أي لاعب جولف في العالم، مهما كانت ظروف اللعب أو الملعب غير ملائمة. وهذا لا يمنع أن الإله قادر على أن يُسقط الكرات في الحفر مباشرة دون النظر إلى قوانين العالم المادي.

إن **لعبة الجولف في هذه الحكاية الرمزية تقابل العالم**. إن العالم مليء بالأشياء المادية التي تتبع القوانين المادية؛ كالنجوم والكواكب وملاعب الجولف. ويحوي العالم أيضًا كائنات حية (مادية أيضًا) تتبع القواعد والقوانين كلاعبي الجولف. ويشتمل العالم كذلك على واقع اجتماعي كلعبة الجولف، وعلى علم الرياضيات الذي نحسب به نقاط اللعبة.

في هذه الحكاية الرمزية، نظرنا إلى الإله باعتباره موجودًا فوق طبيعي يُلزم قدراته فوق الطبيعة بقواعد لعبة الجولف. وإذا انتقلنا من هذه الحكاية إلى نشأة الكون ثم الحياة، نجد **أن الإله قد اختار أن يلتزم بقوانين الطبيعة التي وصفها وفَعَّلها والتي يرى الماديون أنها هي الخالقة.**

القارئ الكريم

تعرض هذه الحكايات الثلاث ما طرحنا في الكتاب من مفاهيم، وسنقوم الآن **بتلخيصها بأسلوب بسيط وسلس** بعد أن استشهدنا عليها وأثبتناها خلال فصول الكتاب مما جعلها بمثابة البديهيات العقلية:

1- **فشل المذهب المادي** في حل المعضلات التي واجهت تقديمه للمادة باعتبارها البنية الأساسية للوجود وباعتبارها مصدر ما فيه من معلومات.

2- لا تقف **بنية المعلومات** عند مستواها الرياضي الإحصائي، بل تتجاوز ذلك إلى مستويات شفقية ودلالية وعملية وغائية. وإذا توافرت هذه المستويات في المعلومات وقعت داخل إطار **المعلومات الكونية**.

3- أثبتت **القوانين العلمية لنظرية المعلومات الكونية** أن المصدر الأول للمعلومات الكونية ينبغي أن يكون **مصدرًا ذكيًّا غير مادي**. كما أثبتت عجز الحتمية والصدفة والاحتمالية عن إبداع المعلومات الكونية.

4- في إطار **المستوى الرياضي/ الإحصائي للمعلومات**، يتم تشكيل المعلومات من خلال عمليات **استبعاد** لمعلومات أخرى، وتتطلب هذه العملية **كيانًا ذكيًّا مختارًا**.

5- أثبتت نظريات المعلومات (الكونية والرياضية واللوغاريثمية) أن **المعلومات هي البنية الأساسية للوجود**، وأن **المادة هي تجسيد محسوس للمعلومات**.

6- قامت نظرية المعلومات الكونية **بتصحيح عدد من المفاهيم العلمية المادية**، فأثبتت احتياج نشأة الكون والحياة وكذلك تطور الكائنات الحية حتى بزوغ الإنسان العاقل، إلى **مصدر غير مادي، مطلق العلم والذكاء والقدرة والخالقية**.

7- **الكون حاسوب كمومي هائل**، قادر على توفير الآليات التي يستخدمها المصدر الذكي غير المادي لبث المعلومات الجديدة في الكون.

8- لا تكفي **قوانين الطبيعة** لأن تكون السبب الأول وراء نشأة الكون، فتلك القوانين تحتاج لمن يكتبها و يفعلها و يُلزم بها عناصر الوجود.

9- بعد أن كان يتم النظر إلى الكون باعتباره **ظاهرة فيزيائية** و إلى الحياة باعتبارها **ظاهرة كيميائية**، أصبح يتم النظر إلى كليهما باعتبارهما «**ظاهرتين معلوميتين**». لذلك بعد أن كان الباحثون عن سر الحياة يركزون على البحث عن مصدر الجزيئات العضوية الحية الكبيرة أصبح سر الحياة يدور حول معرفة مصدر الكم المعلوماتي الهائل الذي تحمله الشفرة الوراثية للكائنات الحية.

10- أثبت مفهوم «المعلوماتية» عجز «العشوائية» و«الحتمية الطبيعية» عن قيادة **قاطرة التطور البيولوچي**؛ لذلك أصبح القول بالتطور الموجه الذي يقوم به **الإله** هو الطرح الذي لا مفر منه.

11- المعلومات ليست قطعًا مبعثرة من الفسيفساء، بل تنتظم في **منظومات مصممة بذكاء، متناغمة مع بعضها**، حتى يمكننا القول بأن «**المنظوماتية: برهان الربوبية الأكبر**». ولا يُعتبر وصف منظومات الوجود بالتصميم الذكي عملية اعتباطية، بل يخضع لمقاييس علمية دقيقة أهمها **التعقيد المتفرد والتعقيد غير القابل للاختزال**.

12- إذا كانت المادة والطاقة كيانين ثابتين كميًّا، كما يخضعان لقانونين لحفظهما، فإن **المعلوماتية كيان قابل للزيادة اللانهائية، وقابل أيضًا للتناقص**.

13- أثبتت نظريات المعلومات احتياج المعلومات الكونية التي تقف وراء نشأة الكون والحياة والإنسان إلى **مصدر غير مادي مطلق العلم والذكاء والقدرة والخالقية**، ولا تتوافر تلك الصفات إلا في **الإله الخالق**، الذي هو المصدر المعلوماتي الأعلى.

14- تعتبر **الفيزياء هي آلية الإله** في خلق الوجود وحفظه و إدارته. و إذا كان الكون يمثل **منظومة مغلقة ماديًّا/ طاقيًّا**، فقد أثبتت فيزياء الكوانتم وأيضا الفيزياء الكلاسيكية أن ذلك لا يتعارض مع اعتباره **منظومة مفتوحة معلوماتيًّا وسببيًّا**، مما يعني إمكانية أن يقوم الإله بتوجيه الكون من خلال بث معلومات جديدة فيه.

15- يُعتبر **الإسلام منظومة معلوماتية**، يتواصل فيها الإله (المرسل) مع الإنسان (المستقبل) من خلال ثلاث قنوات للتواصل: **الفطرة** (الرسالة المعلوماتية الداخلية)، **والوجود** (كتاب الله المنظور)، **والقرآن الكريم** (كتاب الله المسطور). وتتوافر في هذه القنوات الثلاث مستويات المعلومات الكونية الأربعة (الشفقي - الدلالي - العملي - الغائي)، مما يثبت صدور هذه المعلومات الكونية (الإسلام) عن مصدر غير مادي، مطلق العلم والذكاء والقدرة والخالقية، ولا يكون ذلك المصدر إلا الإله عَزَّوَجَلَّ.

القارئ الكريم..

بعد هذه الجولة مع الحكايات الثلاث التي افتتحنا بها هذا الحصاد، ثم التلخيص المبسط المختصر لأفكار رحلتنا المعلوماتية، نترك لك الحصول على حصاد **أكثر تفصيلًا من خلال مراجعة الملخصات المستقلة للفصول.**

بذلك تكاملت الصورة، ووصلنا إلى الغاية من الكتاب.

فقد رأينا عبر فصول الكتاب، من دراسة الكون والحياة (كتاب الله المنظور) كيف أنهما يحملان قدرًا من المعلومات الكونية الهائلة، التي يعجز عن إبداعها إلا مصدر غير مادي، مطلق العلم والحكمة والقدرة. ورأينا من دراسة القرآن الكريم (كتاب الله المسطور) كيف أنه يحمل قدرًا من المعلومات الكونية الهائلة، التي يتسم مبدعها بما يتسم به مبدع الكون والحياة.

كما رأينا من **رسائل الإنسان إلى ربه**، أنها معلومات كونية، تحقق غاية إثبات العبودية لله عَزَّوَجَلَّ.

بذلك تكاملت الغاية من الكتاب، وهي النظر إلى المعلوماتية باعتبارها «برهان البربوبية الأكبر» ، الذي يفوق قدرة الماديين على الإنكار.